مفهوم الأدب المقارن:

تعددت وكثرت مدلولات الأدب المقارن، وتنوعت من باحث لآخر فالأدب المقارن هو من العلوم الأدبية الحديثة المبتكرة في العصر الحديث وأوّل من أطلق عليه هذه التسمية(فان تيجم) ففي المعنى المعجمي "هو المقارنة بين آداب أو أدباء مجموعة لغوية واحدة أو مجموعات لغوية مختلفة من خلال دراسة التأثيرات الأدبية التي تتعدى الحدود اللّغوية والجنسية والسياسية كالمدرسة الرومانتيكية في آداب مختلفة".

وقد أوضح كمال أبو ديب أن الأدب المقارن هو "دراسة الأدب خارج حدود بلد معين واحد، ودراسة العلاقات بين الأدب من جهة ومجالات المعرفة والمعتقدات الأخرى مثل الفنون والفلسفة ... من جهة أخرى، وباختصار الأدب المقارن هو مقارنة أدب بأدب آخر وبآداب أخرى ومقارنة الأدب مع مجالات أخرى من التعبير الإنساني.

وهناك من يفضل تسميته الأدب المقارن التاريخي، باعتبار أن هذا الأدب يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها أو ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير وتأثر، ومنهم محمد غنيمي هلال في مؤلفه الأدب المقارن، الذي يفضل تسمية التاريخ المقارن للآداب وتاريخ الأدب المقارن، إذ يرى أن هذا الأدب جوهر لتاريخ الآداب، فهو منهج تاريخي يوثق الصلات بين الآداب القومية والعالمية، وعلاقتها ببعضها البعض واتفاقها، وتأثرها أو تأثيرها في بعضها البعض قديما وحديثا، ومن هنا تتحدد بأن مهمة، الأدب المقارن تاريخية علمية، ويقول محمد غنيمي أيضا أن الأدب المقارن هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب الخارجة عن نطاق اللّغة القومية التي كتب بها. ونجد كما ذكرنا سابقا أن فان تيجم هو أول من تناول هذا العلم تسمية وتعريفا فقال: "إنّه العلم يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقاتها المتبادلة" ، ويرى أيضا أن المقارنة تعني التقريب بين وقائع مختلفة ومتباعدة في مختلف الآداب، كما نجده يعبر عنه بإيجار فيقول:" إنه تاريخ العلاقات الأدبية الدولية "[9] ونجد من خلال ذلك أن فان تيجم جعل لهذا الأدب صفة التاريخية.

كما أوضحت أنا سيبتا ريفنياس وجهة نظرها في هذا العلم فقالت "هو علم حديث يهتم بالبحث في المشكلات المتعلقة بالتأثيرات المتبادلة بين الآداب المختلفة"، وإذا ما أردنا أن نخرج بتعريف بسيط لهذا العلم نجد أن الأدب المقارن هو دراسة نصين أو أدبيين، أو عنصرين لمعرفة أوجه الاتفاق أو

الاختلاف، لبيان الأصيل منهما والفاضل من المفضول سواء كانت هذه الدّراسة في الأدب القومي الواحد واللّغة الواحدة أو كانت في لغتين مختلفتين.

الهدف من المقارنة قد يكون كشف الصلات التي بين الآداب، وإبراز تأثير أحدها في غيره من الآداب، إذ يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة في حاضرها وماضيها، وما لهذه الصلات التأريخية من تأثير أو تأثر.- وقد يكون هدفها الموازنة الفنية أو المضمونية بينهما، - وقد يكون هدفها معرفة الصورة التي ارتسمت في ذهن أمة من الأمم عن أمة أخرى من خلال أدبها، -وقد يكون هدفها هو تتبع نزعة أو تيار ما عبر عدة آداب..إلخ.

المقارنة و الموازنة :

إن الأدب المقارن دراسته تاريخية بحتة، تتناول دراسة النصوص الأدبية عن طريق صلاتها التاريخية، من حيث تأثرها وتأثيرها بين الآداب القومية والعالمية واستيعاب المؤثرات في كل ظاهرة أدبية وبيان تطور الأدب وتحديد فعاليته في التقريب بين الشعوب وتحقيق التفاهم بينهما.

إن تأثر الآداب فيما بينها ظاهرة تستوي فيها تلك الآداب القديمة والحديثة الشرقية والغربية، الأجنبية والعربية، المحلية والخارجية.

ومن هذا نجد أقدم تأثر، وهو ما أثر به الأدب اليوناني في الأدب الروماني سنة 146 ق.م. فإذا كانت أثينا اليونان هزمت من روما عسكريا، فإن هذه الأخيرة هزمت من اليونان ثقافيا وأدبيا، بحيث حاكا الرومانيين أدباء اليونان وكتابهم وفلاسفتهم. وأصبحت المحاكاة الرومانية للإغريق طابعا مميزا، وانتقلت هذه المحاكاة إلى الآداب الأوروبية الكلاسيكية التي حرصت أن تبدأ أعصر الإحياء لمحاكاة النّماذج القديمة للاتينيين والإغريق، عندما اعتبروا أن الجمال المطلق يوجد عند القدماء لا غير.

لقد عرف الأدب العربي أيضا مثل هذا التأثر والتأثير بعد انتشار موجة الفتوحات الإسلامية، في الأماكن التي كان يتواجد بها الأدب الفارسي. وبعدها انتشار موجة الترجمة في نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي من تلك الآداب اليونانية والهندية وغيرها

على سبيل المثال(المقارنة بين شوقي وشكسبير) في العمل الأدبي المسرحي (كليوباترا) هو من قبيل الأدب المقارن. لكن الموازنة بين شوقي وإسكندر فرح في (كليوباترا أيضا) هو من الموازنات الأدبية، فالمنهجان الأدب المقارن والموازنة الأدبية وإن اتفقا في الصفة الخارجية وهي الموازنة والمقارنة، إلا أنّهما يختلفان في الوجوه.

1- فالموازنة الأدبية تكون في حدود اللغة الواحدة والأدب القومي الواحد، في حين أن الأدب المقارن يكون بالمقارنة بين أدبين أو لغتين مختلفتين.
2- الموازنة الأدبية تقوم على دراسة جوهر الأدب وعناصره وأسرار الجمال فيه، بينما الدراسة المقارنة تدرس وتتبع تاريخ الآداب وعلاقتها ببعضها.
3- وأخيرا الموازنة الأدبية تستهدف البحث عن أسباب الجمال وعناصر القوة والضعف في العمل الأدبي.

أما المقارنة الأدبية تهدف إلى البحث في الجذور التاريخية للآداب، ومدى التأثر أو التأثير بين أدبين مختلفين في اللّغة.وهذا يعني أن الموازنة بين أبي تمام والبحتري في الأدب العربي أو بين راسين وكورني في الأدب الفرنسي، هو من قبيل الموازنة الأدبية لا غير.

أهمية الأدب المقارن وغاياته العلمية:

يعد الأدب المقارن ذلك العلم الذي يميز الشخصية القومية للأمة، ويوضح ملامحها توضيحا كاملا، وذلك بالتمييز بين نتاجها وتراثها الأصيل، وبين ما استعارته من التيارات الأدبية، والأجناس والمذاهب المختلفة. ونستطيع هنا أن نقف على جملة من الأهداف والغايات التي يحددها الأدب المقارن

1- معرفة التلاقي ونقاط التقارب بين الآداب والشعوب و علاقاتها مع بعضها البعض.

2- كما أنه يعتبر عاملا هاما في دراسة المجتمعات وتفهمها، ودفعها إلى التعاون.
3- يعين الأمة على تحديد تاريخها الأدبي معرفة قاطعة، ويوضح مدى صفاء أو اختلاط الآداب بغيرها أي يقف على التاريخ العام والخاص للمجتمع، من خلال تتبع المسار التاريخي للنّصوص الأدبية.
4- يقوم على دراسات التيارات الفكرية والأدبية، ومذاهب الكتاب والمفكرين ...
5- يدرس الأجناس الأدبية من مسرح وشعر وقصص ...
6- ويكشف الروابط والصلاة المتواجدة بين الآداب أي يتتبع تأثر وتأثير الآداب في بعضها.
7- يبين أثر البيئات والأمكنة في اختلاف وتباين الآداب والأجناس الأدبية.

نشأة الأدب المقارن و اسبابها

تعود نشأة الأدب إلى القرن التاسع عشر الميلادي ، و يرى العديد من الدارسين انه بالرغم من المحاولات المقارنية العديدة بين الآداب في السابق إلا أن ملامح هذا العلم بمدلولاته الحالية (الحديثة) ، لم تظهر إلا في سنة 1827 في فرنسا ، و ذلك حين بدأ المقارني الفرنسي **"آبيل فيلمان"** الذي كان أول من استخدم مصطلح " الأدب المقارن " وإليه يعود وضع الأسس الأولى لهذا الفرع المعرفي الأدبي، يقوم بإلقاء محاضرات في جامعة السربون حول علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوروبية متناولا فيها التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والأدب الإنجليزي ، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن الثامن عشر، و كان هدفه من وراء ذلك تقديم صورة عن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية ، وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا.

يرجع بعض الباحثين في الدراسات الأدبية المقارنة و تاريخها بوادر نشأة الأدب المقارن إلى القرن التاسع الميلادي و هنالك من يرجعها الى تواريخ سابقة ، و غيرهم إلى تواريخ لاحقة ، و لكن المنطق يقتضي منا أن لا نقف كثيرا عند هذه الاختلافات " يرى الدكتور غنيمي هلال ، أن الأدب المقارن قد نشأ في القارة الأوروبية ،"حيث اكتمل مفهومه ، و تشعبت أنواع البحث فيه ، و صارت له أهمية بين علوم الأدب لا تقل عن أهمية النقد الحديث ، بل أصبحت نتائج بحوثه عماد الأدب و النقد معا".

و يرجع الكثيرون سبب نشأة و ظهور الأدب المقارن في القارة الأوروبية ، و في القرن التاسع عشر بالتحديد إلى الدراسات المتعددة في مجال المقارنة بين الآداب الأوروبية و دراسة العلاقات المتبادلة فيما بينها التي ظهرت في القرن الثامن عشر و التي كانت بمثابة إرهاصات لظهوره ، والتي يعود سببها هي كذلك إلى عدة عوامل ، نذكر منها على سبيل المثال :

1- ظهور مناداة لرؤية عالمية في مجال الثقافة و الأدب عند بعض المفكرين الأوروبيين أمثال **فولتير** و **روسو** و **ديدرو** و **غوتة** ، و ظهور اعتقاد بأن الآداب الأوروبية هي حصيلة تفاعلات مشتركة عميقة ، و أن الإبداع الأدبي هو تجربة مشتركة غير مقصورة على أدب دون آخر .
2- تطور الاتجاه الرومانسي في الأدب و طرحه لتصور يقضي بكون الأدب هو اتجاه إنساني شامل يعنى بالتجربة الإنسانية أينما كانت ، و يتجاوز حدود الأمم و اللغات .
3- اتساع الأفق الأدبي عند الكثير من الباحثين نتيجة لازدياد الصلات الثقافية بين الشعوب الأوروبية و اطلاعهم و معرفتهم بأدب بعضهم البعض ، اما عن طريق الترجمات أو عن طريق المعرفة المباشرة للغات الأجنبية.
4- نشأة فروع معرفية جديدة تعتمد على المقارنة مثل : علم الميثولوجية المقارن ، و علم التشريع المقارن ، و علم اللغة المقارن .
5- المطالبة الملحة للعديد من الباحثين الأدبيين ، و على رأسهم الفرنسي (**ادغار كينيه)** بضرورة إيجاد علم أدبي مقارن.

أما **<u>الأسباب</u>** التي أدت لظهور الأدب المقارن في فرنسا قبل غيرها من الدول الأوروبية الأخرى فيرجع ـ حسب أغلب الدارسين ـ لعدة عوامل كانت مواتية في تلك الفترة في فرنسا ؛ منها الثقافية ، و الاجتماعية ، و السياسية ، و التي من أهمها:

أولا : أن المناخ الثقافي الفرنسي كان مستعدا منذ العصر الكلاسيكي لممارسة البحث الأدبي المعمق في تلك الفترة لاسيما بعد أن تعاقب على فرنسا حكام اهتموا بالعلم و الثقافة وعملوا على جعل فرنسا مركز إشعاع ثقافي في أوروبا.
ثانيا : تنبه الفرنسيين قبل غيرهم من الأوروبيين إلى قيمة التراث المشترك بينهم وبين المناطق الأوروبية ألأخرى ، مما كان سببا في نشأة أساس فكرة الأدب المقارن.

ثالثا : الرغبة الشديدة للفرنسيين في استرجاع مكانة فرنسا الثقافية الماضية ،من خلال بسط السيطرة الثقافية على المستعمرات الفرنسية في البلدان الإفريقية.

علاقة الأدب المقارن بنظرية الأدب

نظرية الأدب: هي نظرة واسعة تتناول مبادئ وأسس الادب العامة وتتناول دراسة الأنواع الأدبية وأشكالها ونشأتها وانتقالها من أدب إلى آخر وتطوها، كالشعر والمسرحية والمقالة والقصة والملحمة والرواية والنثر والخطابة.

فنظرية الأدب تدرس قوانين تطور ألادب وأشكاله وأنواعه والتيارات الفكرية التي تظهر وتاريخ الأدب في العالم وتتطرق إلى علم الجمال، وتدرس تاريخ تطور الأدب والمراحل التي مرّ بها.

أما عن علاقة الأدب المقارن بنظرية الأدب تظهر هذه العلاقة عندما تتناول الدراسة المقارنة الأشكال الأدبية ، مثلاً عندما تتناول دراسة الرواية في أدبين مختلفين أو دراسة أي جنسٍ أدبي آخر، فتحدث هناك علاقة بينهما (أي بين نظرية الأدب وبين الأدب المقارن) فالأدب المقارن حينما يتناول هذه الأجناس الأدبية ويقارن بينها في نطاق الأدبين المختلفين.

ميادين الأدب المقارن

وميادين الأدب المقارن مُتعددة؛ فقد يكون ميدانه

1. المقارنة بين جنس أدبي كالقصة أو المسرحية في أدب ما، ونظيره في أدب آخر

2. وقد يكونُ ميدانه المقارنة بين الأشكال الفنية داخل جنس أدبي من هذه الأجناس في أدب ما، ونظيراتها في أدب آخر.
3. وقد يكون ميدانه الصورة الخيالية كالتشبيه، والاستعارة، والكناية والمجاز, وقد يكون ميدانه النماذج البشرية والشخصيات التاريخية في الأعمال الأدبية.
4. وقد يكون ميدانه التأثير الذي يحدثه كتاب أو كاتب ما في نظيره على الناحية الأخرى، أو مجرد الموازنة بينهما لما يلحظ من تشابههما مثلًا.
5. وقد يكون ميدانه المقارنة بين المذاهب الأدبية كالكلاسيكية والرومانسية، والواقعية والرمزية والبرناسية هنا وهناك.
6. وقد يكون ميدانه انعكاس صورة أمة ما في أدب أمة أو أمم أخرى وهكذا.

مدارس الأدب المقارن

اولا: المدرسة الفرنسية

تعتبر المدرسة الفرنسية التقليدية هي أول اتجاه ظهر في الأدب المقارن ، و كان ذلك في أوائل القرن التاسع عشر واستمرت سيطرتها كاتجاه وحيد في الأدب المقارن إلى غاية أواسط القرن العشرين ، أي قرابة القرن من الزمان تقريبا حيث ظهرت اتجاهات أخرى نازعتها هذا التفرد .

و للعلم فقد قامت هذه المدرسة على المنهج التاريخي ، و لذلك تسمى بالمدرسة التاريخية، و يعرف **فرانسوا غويار** أحد أهم أعلامها الأدب المقارن على أنه : " تاريخ العـلاقات الأدبية الدولية" أو هو:" العلم الذي يؤرخ للعلاقات الخارجية بين الآداب" . و تقوم دراستها على استقصاء ظواهر عملية التأثير و التأثر بين الآداب القومية المختلفة و رصد الظروف الخارجية التي تحيط بكل من الأديب أو بالعمل الأدبي سواء ؛ التاريخية أو السياسة أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الروحية و التي تسهم في حدوث ذلك التأثير .

و لقد وضعت هذه المدرسة شروطا صارمة للدراسة المقارنة ، فلكي تدخل أي دراسة من الدراسات تحت مجال الأدب المقارن لا بد من توافر الشروط الآتية :

- **أولا : أن تكون الدراسة بين أدبين قوميين أو أكثر ، و لا تكون إلا في مجال الأدب** ، أي أن الدراسة التي تقبل كدراسة تدخل تحت مجال الأدب المقارن ، هي تلك التي تقارن بين الأعمال الأدبية فقط ، فتكون بين عملين (أدبيين) أو أكثر ، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب ، و معيار القومية عند هذه المدرسة هو: (**اللغة**) ، فلا تجوز المقارنة بين عملين أدبيين

كتبا بلغة واحدة مهما كان الاختلاف العرقي أو الجغرافي أو أي اختلاف آخر ،لأن هذه المدرسة تعتبر أنهما من قومية واحدة و المقارنة بينهما هي من قبيل الموازنة و مجالها هو : النقد الأدبي ، و ليس الأدب المقارن . و بناء على هذا فلا يجوز ـ حسب هذه المدرسة ـ أن نقارن بين عمل أدبي **لغوستاف فلوبير** ، أو**غي دو موباسان** الفرنسيين ، مع عمل أدبي كتب باللغة الفرنسية **لمحمد ديب،** أو **كاتب ياسين** ، أو **مالك حداد** ، أو **آسيا جبار** أو غيرهم من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية ، لأنهم من القومية نفسها أي: (الفرنسية).

- **ثانيا : أن يتوفر الرابط التاريخي بين العملين الأدبيين** ، بمعنى أن عملية المقارنة في إطار الأدب المقارن لا تكون إلا بين عملين أدبيين أو أكثر ثبت تاريخيا أن أحدهما قد تأثر بالآخر. فلا يجوز حسب هذا المفهوم مقارنة الأعمال الأدبية حتى و أن كانت تنتسب لقوميات مختلفة و كتبت بلغات مختلفة و كانت متشابهة ، ما لم يتوفر الرابط التاريخي بينها ، الذي يعد الأهم و الجوهري و لا تتم الدراسة في إطار الأدب المقارن إلا بتوفره .

- **ثالثا : أن يكون المؤثر أدبا موجبا و المتأثر أدبا سالبا** ، إن المدرسة الفرنسية التقليدية قسمت آداب و ثقافات العالم إلى قسمين ؛ قسم موجب و قسم سالب ، و ربطت عملية التأثير و التأثر بحالة الاستعمار، و علاقة الدول المستعمرة بالدول المستعمَرة ، فترى أن أداب و ثقافة الدول المستعمرة هي دائما الأقوى وهي دائما المؤثرة وعلى ذلك يكون أدبها موجبا ، و أن أدب و ثقافة الدول المستعمَرة هي الضعيفة ، و بالتالي فهي المتأثرة دائما ، و عليه فقد اعتبرت أن ثقافات و آداب أوروبا الغربية هي الموجبة وبالتالي هي المؤثرة دائما لأنها هي القوية وهي التي تمثل الحضارة ،أما باقي ثقافات وآداب العالم الآخرى ، و خصوصا العربية و الإفريقية فهي تتأثر فقط باعتبارها ضعيفة ولا تمتلك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى .

المدرسة الأمريكية

لم تلتفت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأدب المقارن إلا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ويمكن القول أن إرهاصات ظهور الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن ، أو ما يسمى بالمدرسة الأمريكية يعود لسنة **1958** ، حين ألقى الناقد الأمريكي (**رينيه ويلك**) محاضرته التاريخية بعنوان:(أزمة الأدب المقارن) في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن الذي انعقد في " جامعة تشابل

هيـل" الأمريكية ، و التي وجّـه من خلالها نقدا لا مثيل له في حدته للمدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن ، محاولا من خلاله نسف كل أسسها و مرتكزاتها.

وفي الحقيقة فقد كان لمقال الناقد الأمريكي (**رينيه ويلك**) ـ الذي نشر لاحقا ـ وقعا كبيرا في الساحة الأدبية ، و أسال الكثير من الحبر في أوساط المقارنيين ، و كان البداية في رسم التوجه الذي سارت عليه المدرسة الأمريكية بعد ذلك وسار عليه روادها و بالتحديد رائدها ؛ المقارني :(**هنري ريماك**)، الذي استطاع أن يؤسس المبادئ و المرتكزات التي قامت عليها المدرسة الأمريكية و ذلك بإعطائه مفهوما جديدا للأدب المقارن يختلف اختلافا كبيرا عن المفهوم الفرنسي التقليدي لهذا العلم .

و يمكن القول أن أهم ما ميز اتجاه المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن ، هو رفضها لكل ما جاءت به المدرسة الفرنسية التقليدية ، نظريا كان أو تطبيقيا ، و جعلت للأدب المقارن مفهوما جديدا و دعت إلى أسس جديدة تحكم الدراسة المقارنة تتمثل في :

1- ضرورة دراسة الظاهرة الأدبية في شموليتها دون مراعاة للحواجز السياسة واللسانية حيث يتعلق الأمر بدراسة التاريخ والأعمال الأدبية من وجهة نظر دولية.

2- الدعوة إلى تطبيق منهج نقدي في الأدب المقارن، و التخلي عن المنهج القائم على حصر ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من مؤثرات أجنبية، وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير.

3- الدعوة إلى جعل الدراسات المقارنة تدرس العلاقات القائمة بين الآداب من ناحية و بين مجالات المعرفة الأخرى ؛ كالفنون ، و الفلسفة ، و التاريخ ،و العلوم الاجتماعية ...الخ.

و يبدو أن هروب المقارنيين الأمريكيين من المفاهيم و المبادئ الفرنسية في الأدب المقارن و رفضهم لمنهجيتها الصارمة في الدراسة المقارنة ، و ابتداعهم لمفهوم جديد لهذا العلم يخالف المفهوم الذي قامت عليه ، هو هروب و رفض منطقي ؛ فالكثير من المبادئ و الشروط التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية في الأدب المقارن لا تستند للعلمية و إنما بني أكثرها على منطلقات قومية أيديولوجية ، و من أهم **الانتقادات** التي وجهتها المدرسة الأمريكية للمدرسة الفرنسية التقليدية في هذا الشأن هي :

1- تقسيم المدرسة الفرنسية التقليدية لآداب و ثقافات العالم إلى موجبة ، و أخرى سالبة و اعتبار أن آداب العالم كلها ، إما منبثقة عن أو منصبة في بحر الآداب الأوروبية.
2- افتقاد المدرسة الفرنسية التقليدية لتحديد موضوع الأدب المقارن ، و مناهجه بدقة.
3- تغليب العناصر القومية على العمل الأدبي في الدراسة المقارنة .
4- المبالغة في إثبات عملية التأثير و التأثر .
5- النظر إلى الأدب كجزء من معركة الحصول على مزايا ثقافية ، أو كسلعة من سلع التجارة الخارجية .

و لكن ، و بالرغم من منطقية هذا الرفض و وجاهة هذه الانتقادات التي وجهتها المدرسة الأمريكية لنظيرتها الفرنسية ، و جعلتها حجة و سببا لرفض المفاهيم و المنهجية التي تبنتها هذه الأخيرة ، إلا أنه في واقع الأمر ـ فهنالك أسباب أخرى خفية و جوهرية جدا تنطوي على صراع قومي أيديولوجي ، لم تعلنها صراحة المدرسة الأمريكية ، و هي المتمثلة في الآتي :

أولا : إن الدراسة التاريخية التي تتبناها المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن لا تتلاءم ـ مطلقا ـ مع طبيعة الولايات المتحدة الأمريكية ، نظرا لحداثة تاريخ هذه الأخيرة ، و لكونها لا تملك تاريخا أدبيا يضاهي التاريخ الأدبي الأوروبي عامة و الفرنسي خاصة .

ثانيا : إن شرط اللغة الذي وضعته المدرسة الفرنسية ، و جعلته إجباريا في أي دراسة مقارنة وربطته بالقومية ، هو شرط لا يتماشى كذلك و طبيعة الولايات المتحدة الأمريكية التي تعتبر دولة لا تملك لغة رسمية، من جهة ، و مجتمعها مشكل من العديد من القوميات و الأعراق ، من جهة ثانية وهو ما يعني أن كل الأعمال الأدبية التي ستنتج في أمريكا بأي لغة من لغات قومياتها ستنسب إلى أدب غير الأدب الأمريكي ، بحيث أنه حتى و إن كتب بالإنجليزية ، مثلا، و هي التي تعد اللغة الوطنية ـ واقعيا ـ فقد يدخل حسب شرط اللغة الفرنسي تحت الأدب الانجليزي ، بحيث لا يمكن مقارنته بأي عمل أدبي انجليزي ، و إن حدث ذلك فإن تلك الدراسة لا تعد دراسة مقارنة و لا تدخل تحت مجال الأدب المقارن ، و إنما هي من قبيل الموازنات و تدخل في مجال النقد الأدبي ، و هذا ما سينسحب على كل أدب مكتوب بأي لغة قومية من اللغات الموجودة في الولايات المتحدة الأمريكية كالإسبانية و الصينية ، و الفرنسية ...الخ .

ثالثا: إن التقسيم الثنائي للأدب الذي فرضته المدرسة الفرنسية ، وربطت من خلاله ايجابية و سلبية العمل الأدبي بعامل الاستعمار هو مبدأ لا يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية

باعتبار أن الأدب الموجب و الراقي هو أدب الدول المستعمرة ، و الأدب السالب هو أدب الدول المستعمرة ، و أدب الولايات المتحدة الأمريكية بموجب هذا المبدأ لن يكون في الريادة .

و بناء على هذه الأسباب يبدو أن منظري الولايات المتحدة الأمريكية من نقاد و مقارنيين قد أدركوا أن الأسس التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية و المنهجية التي اعتمدتها في الدراسة المقارنة ، تعتبر عامل إقصاء للولايات المتحدة الأمريكية في ميدان علم الأدب المقارن ، فالتسليم بما جاءت به هذه المدرسة في هذا العلم سيجعل من الولايات المتحدة الأمريكية دولة تابعة لا متبوعة ، و لذلك حاولوا ان ينسفوا كل المرتكزات و المبادئ التي قامت عليها المدرسة الفرنسية التقليدية ، و من أهمها المرتكز التاريخي و القومي و اللساني .

ولقد سلط الموقف الأمريكي الضوء على أهم عيوب المفهوم التقليدي وهي :

1- ضيق الرقعة المكانية(فقد انحصرت بحوثه بالآداب الرئيسية لبلدان أوربا الغربية)
2- ضيق المدى الزمني (ان البحوث المقارنة لم تذهب أول الأمر إلى أبعد من عصر النهضة ثم تنسحب إلى القرون التي تلت ذلك العصر) .
3- الاهتمام الاستثنائي بظاهرتي التأثير والتأثر المترتبتين على علاقة تاريخية ثابتة .
4- اتسام البحوث بالنزعة التجزيئية (أخذ الظواهر متفرقة ومعزولة عن بعضها).

وترتب على ذلك :

دفع الحدود الزمانية إلى الخلف لتشمل القرون الوسطى، وتوسيع الرقعة المكانية لتشمل الدراسات المقارنة آداب بلدان أوربا الشرقية والوسطى في وقت لاحق، ومن ثم آداب الشرق الأوسط بما في ذلك اليابان وآداب القارات الخمس جميعها .

وإذا كان المفهوم الأمريكي محقا في انتقاد المفهوم الفرنسي التقليدي لتأكيده الاستثنائي على ظاهرتي التأثر والتأثير المترتبتين على علاقة تاريخية مبرهن عليها، فهو غير محق في إخراج هاتين الظاهرتين من دائرة اهتمام الدراسة المقارنة والاكتفاء أحيانا بمجرد مظاهر الشبه والاختلاف بين الآداب، أو بين الآداب وحقول المعرفة والاعتقاد الأخرى

وكذلك فان الدعوة الأمريكية إلى فتح باب الدراسة المقارنة أمام مقارنة الأدب بغيره من أشكال المعرفة والاعتقاد من غير ضابط من شأنه أن يهدد بتحويل الأدب المقارن إلى فلسفة للثقافة وإلى علم عام حول الفن، وكذلك يهدد بتجاوز حدود البحث المقارن وتعقيد مهماته.

المدرســـة الاشتراكـــية:

في أواسط عقد الخمسينات عرفت الدراسات المقارنة حالة من الانتعاش داخل البلدان الاشتراكية ، ولاسيما في الاتحاد السوفيتي، وعلى اثر المؤتمر الذي عقده المقارنون من البلدان الاشتراكية في بودابست عام 1962م والذي حضره فريق من المقارنين الغربيين .

لقد كان للمدرسة الاشتراكية اعتراضاتها على كل من المدرسة الفرنسية التقليدية والمدرسة الامريكية ، كما ان هناك التقاء المدرسة الاشتراكية مع المدرسة الفرنسية في عدد من النقاط ضد المدرسة الأمريكية وبالعكس أيضا . فهي تلتقي في الظاهر مع المدرسة الأمريكية ؛ وهي تعترض على اهتمام مؤسس المدرسة الفرنسية الزائد عن الحد بامور شكلية ؛ مثل وسائل الاتصال وطرقه وأشكاله ؛ إلاّ ان المدرسة الاشتراكية في الوقت نفسه لاتقر المدرسة الأمريكية في اعتراضها في اهتمام المدرسة الفرنسية بعمليات التأثر والتأثير ، وإن كانت لاتعد عمليات التأثر والتأثير شرطا وحيدا لإجراء الدراسة المقارنة ؛ كما تصر المدرسة الفرنسية.

وتعتمد المدرسة الاشتراكية في منهجها على وجود مظاهر الشبه أو الاختلاف بين الآداب ذات الانتماءات القومية المختلفة ، والكشف عن دراسة هذه المظاهر عن قوانين التاريخ الموضوعية التي تحكمت بهذه المظاهر ، وحتى في حالة وجود مظاهر التأثير والتأثر

.

و يمكن القول بأن أهم ما نادت إليه هذه المدرسة ، من خلال رصد أفكار و نظريات منظريها فيما يتعلق بالدراسات المقارنة يتجلى في الآتي :

1- ضرورة الاهتمام بالصراع الطبقي والصراع الإيديولوجي باعتباره المؤثر الأكبر في عملية استقبال أي مجتمع من المجتمعات للموضوعات الأجنبية.

2- الدعوة إلى دراسة التشابهات و الاختلافات النمطية و الابتعاد عن تقاليد المدرسة الفرنسية في مفهومها للتأثير و التأثر .

3- ربط الثقافي و التاريخي و الجمالي بنظام روحي لكل شعب ، وعدم إهمال الفروق القومية بين الثقافات والنظر إليها بكل موضوعية.

4- تجنب الأحكام المسبقة على أي ثقافة إلا بعد دراسة تطوراتها وعلاقاتها بغيرها من الثقافات في تطورها التاريخي.

5- ضرورة ربط المقارنة الأدبية بالمكون الاجتماعي للأدب.

علاقة الأدب المقارن بالأدب العالمي أو العام

ومنذ البدء اختلط مفهوم «الأدب المقارن» بمفهومي «الأدب العام» و«الأدب العالمي». والملاحظ أنه حتى نهاية الثمانينات وبعد كل ذلك التطور المهم الذي حققه الأدب المقارن, ما زالت هذه المفهومات مختلطة حتى في بعض الجامعات العريقة. ومن هنا كان الربط الدائم بين الأدب المقارن والأدب العام في تسميات الأقسام الجامعية في دول أوربية كثيرة. كذلك يلاحظ أن الكتاب السنوي الأمريكي ما زال يحمل تسمية الأدب العام إلى جانب الأدب المقارن، أما الذين قالوا بوجود التمييز بين الأدبين هم أصحاب المدرسة الفرنسية، فالأدب المقارن هو دراسة التأثيرات وتتبع العلاقات التأريخية بين الآداب القومية متى حصلت هذه العلاقات؟ وكيف ؟ ومن هو الوسيط؟ ففي هذه الحالة يختلف الأدب المقارن عن الأدب العالمي.

فالأدب العالمي world literature مصطلح من وضع جوته وكان ينطوي على حلم بزمان تصير فيه كل الآداب أدباً واحداً. ونقصد بعالمية الأدب هي خروجه من نطاق اللّغة التي كتب بها

إلى أدب أو لغة أو آداب لغات أخرى، أي خروج الآداب من قوميتها، وذلك بوجود تفاعلات من نوع ما بين الآداب مباشرة أو غير مباشرة، ترتبط بفترة زمنية ما أو بفترات ما بين الآداب.

وكان الألماني جوته ومدام دي ستايل ممن نادوا بعالمية الأدب، عندما نادوا بمجاوزة الآداب القومية والوطنية إلى آداب خارجية لتعرف الآداب المختلفة بعضها إلى بعض، ومن ذلك قراءة الآداب الأجنبية في لغتها الأصلية، أو في لغات وسيطة أو في ترجماتها إلى اللغة القومية؛ فيسهل حينئذ إفادة الآداب الضعيفة الآسنة من الآداب القوية المتوثبة حيوية وإبداعًا، و تنبه الأمم المتقدمة إلى قيمة آداب الأمم التي لم تصل بعد إلى درجة تقدمها.

هناك آراء حول مفهوم الأدب العالمي:

أولاً: يرى بعض الباحثين بأن الادب العالمي عبارة عن أدب العالم كله، هذا يعني : الأدب العالمي =مجموع تواريخ الآداب القومية المختلفة.

ثانياً: الأدب العالمي منتخبات تضم ما اشتملت عليه الآداب القومية المختلفة المتفرقة، فهذا التعريف أدق من التعريفين الآخرين، لأن النخبة هي دائماً التي تخرج للعالمية عن النطاق القومي.

ثالثاً: مجموع الأعمال المتشابهة فيما بينها أو المرتبطة فيما بينها بعلاقات متبادلة وموزعة على مختلف الآداب القومية.

أما الأدب العام general literature فمصطلح استعمل غالباً لوسم تلك الكتابات التي يصعب أن تُصنَّف تحت أي من الدراسات الأدبية والتي تبدو ذات أهمية متجاوزة لنطاق الأدب القومي. وهي أحياناً تشير إلى الاتجاهات الأدبية أو المشكلات أو النظريات العامة في الأدب, أو الجماليات. كما صُنِّفت تحت هذا العنوان مجموعات النصوص والدراسات النقدية والتعليقات التي تتناول مجموعة من الآداب ولا تقتصر على أدب واحد. وهكذا يتطابق الأدب العام أحياناً مع مبادئ النقد ونظرية الأدب, أي مع كل دراسة أدبية تركز على التنظير ولا تقتصر أمثلتها على أدب واحد.

ويقل استعمال مصطلح «الأدب العام» اليوم ويكاد ينحصر في الدلالة على أنواع متفرقة من الدراسات الأدبية التي يصعب أن تُصنف في نطاق الأدب القومي أو العالمي أو المقارن.

ولم تزل الخلافات بشأن منطق الأدب المقارن ومنطقته قائمة حتى اليوم وإِن كانت تضيق تدريجياً لتفسح في المجال لمفهوم مشترك سيجري تحديد عناصره هنا بعد استعراض تاريخيّة اتجاهات الأدب المقارن.

علاقة الادب المقارن بالأدبين القومي والعالمي

تاريخ الأدب القومي مختص بدراسة تاريخ قوم محدد ويتألف من مختلف الأنماط والأنواع والتأثيرات المتبادلة داخل الأدب القومي الواحد حتى الموازنات التي تجرى داخل الأدب الواحد تعد من أدب قومي. واللغة هي الفيصل في تحديد الهوية القومية وهو ما قاله الدكتور "محمد غنيمي هلال" الذي يؤكد أن الحدود الأصيلة بين الآداب القومية هي اللغات؛ فالكاتب أو الشاعر إذا كتب بالعربية عددنا أدبه عربيًّا، مهما كان جنسه البشري الذي انحدر منه.

الأدب المقارن: أوسع فهو يتتبع الصلات والعلاقات بين الآداب القومية المختلفة،ويخرج من نطاق القوم الواحد إلى آدب امم مختلفة، مثلا دراسة أربعة آداب قومية مختلفة مثل الأدب العربي والفرسي والفرنسي والانكليزي.

مفهوم العالمي للأدب ظهر بفضل الدراسات المقارنة فهي التي مهدت لظهور الأدب العالمي عندما جرت هذه المقارنات بين أدبين مختلفين ، فالعلاقات بين آداب قومية متعددة فهذا هو الأدب العالمي، فدراسة ظاهرة في آداب مختلفة والخروج من حدود الأدب القومي. والآداب وطنية قومية أولًا" يتلخص في أنها في الواقع الحي فردية، قبل أن تكون وطنية أو قومية، ومع هذا فإن ما يضمن لها الخلود، هو ما فيها من نزعة إنسانية تخاطب البشر على اختلاف أديانهم، وأوطانهم، وعاداتهم وتقاليدهم، بشرط أن يتحقق لها الإبداع الفني الراقي.

فميادين دراسة الأدب المقارن ميادين جزئية لأنها تتناول دراسة بين أدبين أو جنسين أدبيين، لكن هذه الدراسات المقارنة عندما نجمعها نقترب شيأً فشيأً من العالمية.

الأدب العالمي لايعترف بالحدود الضيقة القومية لكن الأدب القومي له حدود فالأدب القومي العربي يخص القومية العربية التي كانت تعيش في حدود معينة ومنطقة معينة وهذا الأدب الذي يصدر عن القومية العربية هو أدب قومي، لكن الأدب العالمي لايهتم بالحدود بل يدرس الظواهر في أي مكان وفي أي بقعة من العالم .

فالأدب المقان يقرب بين الأدب العالمي والأدب القومي فهو كالجسر الذي يربط طرف الأدب القومي بالأدب العالمي، فدراسة الأدب العربي ومقارنته بالأدب الانكليزي تكون هذه الدراسة المقارنة وسيلة للتقريب من العالمية، ولولا هذه الدراسات المقارنة لما اطلعنا على الآداب الأوروبية والهندية والفارسية....الخ. فالأدب المقارن حلقة وصل تربط بين الأدب القومي والعالمي.

التأثير والتأثر في الأدب المقارن:

إذا كانت المدرسة الفرنسية في الأدب المقارنة تشترط لإجراء عملية المقارنة: أن تكون هناك صلات تاريخية بين طرفي المقارنة؛ فإن ثمة مدارس أخرى تشترط وجود مثل تلك الصلات، بل تكتفي بوجود المشابهات أو الاختلافات بينهما، ومن هذه المدارس: المدرسة الأمريكية، والإيطالية، والألمانية، والسلافية..

عن المدرسة الاشتراكية لما فيها من خصوصية تميزها عن بقية المدارس المذكورة آنفًا، إذ تكتفي تلك المدرسة بأن تكون هناك تشابهات بين الأديب أو الجنس الأدبي أو الاتجاه الفني مثلًا المراد درسه، وبين نظيره لدى أمة أخرى، بغض النظر عن الصلات بينهما.

عوامل التأثر والتأثير بين الآداب:

1- فقد يكون غزو شعب لبلد شعب آخر أو احتلاله مثل، تأثير الأدب العربي في آداب البلاد التي فتحها المسلمون عند ظهور الإسلام، وكذلك تأثير الأدب الإنجليزي والفرنسي في البلاد التي احتلتها بريطانيا وفرنسا.

2- وقد تكون الرحلات والبعثات الدراسية سببًا آخر في التعرف على آداب الأمم الأخرى، والإعجاب والتأثر بها.

3- ولدينا أيضًا الترجمة التي قد تقوم بها الأمم المتأثرة من تلقاء نفسها، أو يخطط لها، ويوجهها ويشرف عليها ويمولها أصحاب الأدب القوي، الذي يراد له أن يكون مؤثرًا.

4- وهناك كذلك الصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية، التي تتحدث عن أدب شعب من الشعوب، مروجة وممجدة له فكثيرًا ما يتم تعرفنا إلى الآداب الأجنبية، وتأثرنا بها، عبر قراءتها في لغتها الأصلية

5- وقد يكون التأثر عن طريق الندوات والمؤتمرات ومقابلة الأدباء الأجانب.

6- وقد يقع من خلال أدب وسيط تأثر من قبل بأدب أمة ما، ثم أثر بدوره في أدب أمة ثالثة حاملًا إليه أثناء ذلك العناصر التي استقاها من الأدب الأول.

7- ومن أهم هذه العوامل الدراسة المنظمة للآداب .

هناك عامل آخر فائق الأهمية ألا وهو المشباك "الإنترنت" حيث يتوفر الكتاب والمجلة، والصحيفة بلغات العالم المختلفة، في دقائق معدودات.